الوسم أو التسمية
من يريد أن يطلق عليه مسمي متخلف ؟!!!

إعداد

د. محمد السعيد أبو حلاوة

مدرس الصحة النفسية وعلم نفس الأطفال غير العاديين

Chris Kliewer and Doublas Biklen (1996) .Labeling: Who Wants to Be Called Retarded?
In W. Stainback & s. Stainback. (Eds.). ***Controversial issues confronting special education: Divergent perspectives*** **(83-95). Baltimore, MD: Paul H. Brookes Publishing.**

المكتبة الالكترونية

أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة

www.gulfkids.com

مقدمة:
=======

يصف كريس كلوير ودوبلاس باكلين 1996 بصورة تفصيلية النواتج غير المقصودة (السلبية في الغالب) [1] لإطلاق التسميات أو الأوصاف (التسميات أو المسميات اليومية) علي الناس مثل " رياضي، موسيقي، راقص باليه وعلاقة هذه التسميات بما أسمياه قضية التنميط أو التأطير والتي يمكن أن تتشكل من خلالها تصوراتنا لأنفسنا وتصوراتنا للآخرين. بمعني أن إطلاق هذه الأوصاف أو التسميات يتضمن دلالات قد تصل إلي ما يمكن تسميته بدلالات الهوية (Kliewer&Biklen,1996,P.83).

ويمكن أن نري كيف تؤثر عملية إطلاق الأسماء أو الأوصاف علي الأداء لو نظرنا إلي بحوث ودراسات الفروق الفردية في مجال الرياضيات علي سبيل فعلي الرغم من أن أداء الإناث في الرياضيات متساوٍ بالفعل مع أداء الذكور فإن المعلمين يميلون إلي اعتبار الإناث لصفة عامة أقل ذكاءً من الذكور في القدرة الرياضية ويعزون التساوي في أداء الإناث مع أداء الذكور في هذا المجال إلي متغيرات أخرى غير الذكاء مثل أن الإناث يعملن بجد ومثابرة أكثر من الذكور وبالتالي يعوضن نقصهن في الذكاء في هذا المجال بالعمل الجاد والمكثف.

وهذا ربط غير علمي بل وضار بين علي سبيل المثال ما يعتبر تمييزًا طبيعيًا بين الجنس والرياضيات وهذا التمييز في حقيقة الأمر نتاج لتفسيرات اجتماعية لا علاقة لها بالمرة بالفروق الحقيقية بين الإناث والذكور. وحتى لو صارع الإناث للتغلب علي هذه التنميطات فغالبًا ما يساء تفسير هذا الصراع.

وبالنظر إلي مختلف تسميات الإعاقات المختلفة يمكن القول بأنها لا تمثل حقائق واقعية بل هي مجرد أفكارًا تحمل دلالات سلبية في الغالب وترتبط بسياقات ثقافية معينة تخلقت فيها. علي سبيل المثال مصطلح (التوحد Autism) ابتكره أو صكه الطبيب ليو كانر سنة 1943 ليصف به سلوكيات معينة تصدر عن مجموعة معينة من الأطفال منها: عدم القدرة علي اللعب مع الآخرين، أفعال نمطية شديدة التكرار والتواتر، نقص الوعي بالبيئة المحيطة. حيث جمعت هذه الأعراض مع بعضها وأطلق عليها مسمي تشخصي معين هو (التوحد).

وفي سنة 1994 صكت الجمعية الأمريكية للطب النفسي مصطلحًا آخر لوصف هذه الأعراض هو (نقص التبادل الاجتماعي والانفعالي "lack of social and emotional reciprocity") والسؤال المهم في هذا السياق بغض النظر عن هذين الوصفين أو التسميتين كيف يمكن أن نعرف

---

[1] يعني بالوسم أو التسمية Labeling حرفيًا رقعة تثبت علي شيء؛ يلصق رقعة (يافطة) علي شيء ما لتدل علي محتوياته أو مالكه أو الجهة المرسل إليها . مادة مكتوبة أو مطبوعة ترفق بشيء للتعريف أو التوضيح ؛ نعت، لقب . (منير البعلبكي ، 1987، قاموس المورد، ص 508 ، دار العلم للملايين، بيروت).

[1] تثير عملية الوسم أو التسمية أي عملية إطلاق الأوصاف والتسميات علي المعوقين وإدراجهم بناء علي متلازمات الأعراض تحت فئة أو أخري من فئات الإعاقة نوعين سلبيين من الاستجابات أو ردود الأفعال : الأول استجابات الشفقة والأسى. والثاني: استجابات التجنب والابتعاد. وكلا الاستجابتين مدمرتين للبناء النفسي لمن تطلق عليهم هذه الأوصاف والتسميات. صحيح الحاجة ماسة إلي تسمية الأشياء بمسمياتها لأغراض عملية بحتة كما يدعي أنصار استراتيجية الوسم والتسمية Labeling ولكن الحاجة إلي أوصاف وتسميات إيجابية أكثر إلحاحًا عند التعامل مع منطقة المشاعر الإنسانية الرقيقة للبشر حيث أن الوصف أو التسمية يساوي الهوية الشخصية.

أن الشخص الذي بجواري مثلاً ينقصه الوعي بالبيئة أو الوسط الذي يعيش فيه؟ ويشير كريس كلوير ودوبلاس بايكلين 1996 إلي مقتطفات من السيرة الذاتية لأشخاص صنفوا تحت فئة ذوي اضطراب التوحد تتحدي أو تحض التنميط السلبي لهم بأنهم منعزلون اجتماعيًا عن الآخرين ولا يبدون أي اهتمام أو تعاطف مع الآخرين.

وكتبت دونا ويليامز 1994 مؤلفة كتاب "لا أحد هنا" 1992 وكتاب "شخصًا ما هنا" 1994 ب في هذا المعني " عندما يفترض الناس العاديون غير المصابون بالتوحد أن ذوي اضطراب التوحد مجرد نسخًا مشوهًة من البشر أو مجرد نسخًا مكسورة من أنفسهم فإنهم لا يحتقرون أو لا يهينون ذوي اضطراب التوحد فقط بل بالإضافة إلي ذلك يضللون ويربكون ويحيرون الشخص المصاب بالتوحد والذي يصدر عنه سلوكيات لا تتطابق مع هذه الأوصاف أو المسميات (Donna Williams,1994a,p.197, In ; Kliewer&Biklen,1996,P.84).

ويمكن بنفس المعني دحض أو رفض أو علي الأقل تحدي دقة مصطلح الإعاقة العقلية (التخلف العقلي) علي خلفية فشله في التعبير التام عن الواقع المنبثق من خبرات الحياة اليومية.
ويكفي القول أن هذا الاصطلاح (التخلف العقلي) قد أعيد تعريفه لمرات كثيرة خلال مدة زمنية قصيرة بل ربما يعاد تعريفه علي الأقل كل سنة استجابة للتغييرات في الأفكار المرتبطة ليس بالاختبارات وطرق التعليم فقط بل المتعلقة أيضًا التداعيات الاجتماعية المدركة لهذه التسمية أو الوصف (تخلف عقلي) (Kliewer&Biklen,1996,P.85) .

فعلي سبيل المثال صيغ في سنة 1950 فئة (التخلف العقلي البيني "borderline" mental retardation") ليدرج تحتها الأفراد الذين تنحرف معاملات ذكاؤهم عن المتوسط علي اختبارات الذكاء المقننة بمقدار انحراف معياري واحد أو انحراف معياري ونصف عن المتوسط ثم أزيلت هذه الفئة من التصنيفات نتيجة اعتراضات أثارها الناس ذوي المستويات الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة لكونها تتضمن تمييزًا أو تحيزًا سلبيًا ضدهم إذ أن معظم من تنطبق عليهم هذه الفئة من أسر ذات مستوي اجتماعي اقتصادي منخفض (Kliewer&Biklen,1996,p.84).

ويصف كلوير ودوبلاس باكلين 1996 أيضًا بعض المتغيرات التي قد تكون مسئولة عن تغيير آرائنا ووجهات نظرنا فيما يتعلق بقضايا الوسم أو التسمية ونظم التصنيف في إطار عدة عناصر علي النحو التالي:-

أولاً سياسات الوسم أو التسمية: وهم أو خرافة الحكم الكلينيكي Politics of Labeling: The Myth of Clinical Judgment.

إذا كان لمفهوم الإعاقة العقلية (التخلف العقلي) في الواقع دلالة قاطعة مثل دلالة نظام تصنيف أشكال الورود المختلفة لن يكون هناك أي اختلاف بين علماء النفس، العاملين في قطاع الخدمة الاجتماعية، المعلمين، المتخصصين في تشخيص وعلاج أمراض الكلام واللغة حول محكات استحقاق خدمات التربية الخاصة المتعلقة بهذه الفئة من فئات الإعاقة. فزهرة النرجس هي هي زهرة النرجس في أي مكان في العالم!! وبالعودة إلي نظم التصنيف في مجال الفئات الخاصة نجد أن المتخصصين يطبقون محكات وإجراءات تصنيف واستحقاق مختلفة. علي سبيل المثال تزداد احتمالات أن يصنف التلميذ في ولاية نيويورك بمقدار ست مرات تحت فئة المضطرب انفعاليًا عن احتمالات تصنيف تحت هذه الفئة في ولاية كاليفورنيا. وتزداد احتمالات تصنيف

التلميذ في ولاية أوهايو تحت فئة أو مسمي المتخلف عقليًا بمقدار 2.5% عن احتمالات تصنيف تحت هذه الفئة في ولاية ويسكونسين أو تكساس. ويحدد باكلين 1992 متغيرات أخري تحل محل الحكم الكلينيكي عند تعيين أو وضع الأطفال تحت فئة معينة من فئات الإعاقة مثل " الممارسات السابقة لعزل التلاميذ، التواجد السابق في المدارس المعزولة ـ القائمة علي فصل أو عزل التلاميذ المعوقين عن أقرانهم غير المعوقين ـ ، جماعات الدفاع، ونقص الخبرة بالتدريس للتلاميذ ذوي أنماط إعاقة معينة" (Biklen,1992,pp.102-103).

ثانياً مشكلات النعت أو التسمية: التعويق والتعجيز وفرض القيود Problems of Being Labeled: Handicapism and Limitations :

يذكرنا كلوبير وباكلين 1996 أن (مصطلح الإعاقة Disability ليس مصطلحًا محايدًا). إذ يتخذ مصطلح الإعاقة في الواقع كأساس للتنميط، للتمييز السلبي، للإجحاف والظلم، وبالجملة للتعويق والتعجيز (Kliewer&Biklen,1996,P,87).
وبناء علي الدلالة الضمنية لهذا المصطلح ينظر إلي المعوقين إجمالاً بأنهم في حاجة إلي من يسيطر عليهم أو يضبط تصرفاتهم، تنقصهم الكفاءة والأهلية والجدارة الشخصية، لا يجدي توفير فرص التعلم لهم، وهم بصفة عامة غير قادرون علي تقرير مصائرهم. وما يدحض مثل هذه الافتراءات في الواقع أن كثيرًا ممن ينطبق عليهم خصائص نعت معين مثل التخلف العقلي لا ينظرون إلي أنفسهم علي أنهم متخلفون إذ يشير بوجدان 1980 إلي أن كثيرًا منهم يقولون بأنهم غير متخلفون عقليًا لأنهم ببساطة لا يعتقدون ولا يفكرون في أنفسهم بطريقة سلبية (Bogdan,1980,P.78).

فعندما وجدت جماعة دفاع في أستراليا نفسها منمطة ومهمشة نتيجة إسقاط نعوت أو تسميات معينة (التخلف العقلي) عليها طبعت ملصقات مضادة للتأثيرات السلبية الناتجة عن اعتبارهم لا يفكرون وتقول هذه الملصقات (لا تتصور أننا لا نفكر) (Bogdan,1980,P.88).
وتعد الحالة التالية مثالاً صارخًا لأخطاء الوسم أو التسمية ولدلالاتها التعويقية أو التعجيزية فهذه شيريسا فتاة عمرها 15 سنة تعلمت التواصل من خلال الطباعة بالحاسب الآلي (من خلال تسهيلات ومساعدات كثيرًا من المحيطين بها) ووصلت إلي مستوي راق أو متقدم من القدرة علي التعبير عن نفسها. وقبل أن تتعلم الطباعة كان معامل ذكائها 15 وبعد أن أعيد تطبيق اختبار الذكاء عليها بلغ معامل ذكائها 142!!!!!! حالة أوردها (Watts&Wurzburg,1994).

ثالثًا: مدارس (تمدرس) بلا تسميات أو بلا أوصاف أو بلا نعوت؟ Schooling without Labels?

تمثل حركة مدارس الدمج والتطبيع والاحتواء دحضًا أو تحديًا مركزيًا لفكرة أن المسميات أو النعوت تساعد في تعليم وفي حياة الشخص الذي يحملها (Kliewer&Biklen,1996,p. 92).
إذ تفيد التجارب القليلة في هذا المجال أن إدراكات معلمو المدارس الأساسية والثانوية التي تضم تلاميذ معوقين تتأثر بصورة إيجابية عبر الوقت. " إذ أن المعلمين يتجاوزن النظر إليهم من نظارة معوق وبالتالي ينحون أو يطرحون جانبًا التسمية أو الوصف أو النعت مما يقربهم من الطفل وبالتالي فهمه والتجاوب الإيجابي معه كطفل أولاً وأخيرًا " (Kliewer&Biklen,1996,p. 92).

وبناء عليه يبدأ مثل هؤلاء المعلمون في الشك في نتائج الاختبارات التقليدية التي تستخدم في مجال تشخيص حالات الإعاقة. علي سبيل المثال لاحظ أحد المعلمون أن الاختبارات النفسية

تميل إلي تعظيم أو التركيز المبالغ فيه علي الأفكار المتعلقة بصور الخلل وبعدم الكفاءة علي من تطبق عليهم ويطالب هذا المعلم بإجراء ملاحظات متعددة المصادر للطفل والتركيز علي استجاباته العادية التي تصدر عنه في مواقف التفاعل الاجتماعي العادية.
ولتتضح إمكانية تغيير الحالة السلوكية العامة لمن يطلق عليهم المعوقين نسوق المثال التالي " كانت تومي وهي طفلة معوقة بالصف الرابع الابتدائي منعزلة اجتماعية عن أقرانها بالفصل. وأسس معلم الفصل والتلاميذ ما يعرف بمركز بريد الفصل إذ يكتب فيه كل تلاميذ الفصل ملاحظاتهم علي بعضهم ويضعونها في هذا المركز. ولاحظ التلاميذ أن تومي تستجيب للملاحظات المكتوبة التي توجه إليها بردود تفسيرية وبصورة فورية ثم لوحظ تعديل واضح في سلوكها وبناء عليه غير تلاميذ الفصل من طريقة تعاملهم مع تومي لبناء علاقات صداقة معها (Kliewer&Biklen,1996,p.93).

ويستنتج كلوبير وباكلين 1996 أن " التسميات أو النعوت أو التصنيفات تعوق أجندة التدريس الفعال" ويطرحا التساؤل التالي " من منا يريد أو يرغب أو يروق له أن يطلق عليه لقب أو نعت متخلف؟!!!! هل تعيين نعت أو اسم أو وسم لإعاقة معينة يساعد من يلصق به أو يسقط عليه بأي صورة من الصور؟!!! كنا في بداية القرن العشرين نصف بعض الناس بنعوت منها معتوه، أبله، مأفون ..... فهل هذه النعوت أو المسميات أقل ازدراءً أو أقل احتقارًا من المصطلحات التي نستخدمها في الوقت الحالي " (Kliewer&Biklen,1996,p.94).
والسؤال الأكثر أهمية مما تقدم هو ما نوعية المدارس التي يجب أن يتواجد فيها الأطفال المعوقين إذا استمعنا إلي وتصرفنا في ضوء ما يقوله أناس مثل نورمان كنك1994 أحد مؤسس حركة الدفاع عن حقوق المعوقين وهو نفسه معوق ويعاني من متلازمة الشلل الدماغي حيث يصيح ويصرخ بأعلى صوته (أنا لست عاجزًا!! أنا لست عاجزًا!!! أنا أمثل فقط التنوع في الجنس البشري).

References cited in this Abstract

Biklen, D. (1988). The myth of clinical judgment. *Journal of Social Issues*, *44*(1), 127-140.

Bogdan, R. (1980). What does it mean when a person says, 'I am not retarded'? *Education and Training of the Mentally Retarded, 15*(1), 74-79.

Kunc, N. (1994). *Hell-bent on helping: Benevolence, friendship, and the politics of help*. Keynote presentation at the 4th Annual Facilitated Communication Conference, Syracuse, NY.

Watts, G ., & Wurzburg. (1994). (Videotape). *Every Step of the Way: Toward Independent Communication.* Syracuse, NY: Syracuse University, Facilitated Communication Institute.

Williams, D. (1994a). In the real world. *Journal of the Association of Persons with Severe Handicaps*, *19*(3), 196-199.